المعرفة وسعة الاطلاع وكثرة المحفوظات اعمل ايّ عملٍ شئت على شرط ان تتقنهُ وتنفع بهِ . عبّر عما تعرفهُ بطريقة مفيدة ولا تحتقر العمل تحقّراً ولا تكتفِ بالمعارف الوجدانية ولا تتوانَ عن اظهار شيءٍ منها للغير فتكون اشبه برجل على جانب نهر يحاول العبور الى الجانب الآخر وقوة الماء تصدهُ ويرى لديهِ من الاخشاب والادوات ما يستطيع بها صنع رمث يركبهُ ولكنهُ لا يمد لذلك يداً ويقضي الايام حيث هو . والذي يعلم ان اميركا اكتشفت سنة ١٤٩٢ ويجهل الاحوال التي صاحبت ذلك الاكتشاف ولا يعرف علاقة هذا التاريخ بغيره ولا يدرك السبب في اهميتهِ واستعمالاتهِ فاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ او سنة ١٢٩٤ عندهُ سيان

هذه الخصائص الخمس (اتقان اللغة الوطنية وحسن السلوك وعادة التروي وقوة النمو والمقدرة على العمل) هي ادلتي على حسن التهذيب وبها يعرف المهذبون وفي ساحتها يلتقي الطبيب باللغوي والطبيعي بالنياسوف وكلٌّ يعرف ان صاحبهُ عالم مهذّب مع ان وجوه معارفهم مختلفة ومواقف مراميهم متضاربة ولكنهم متحدون بالاخاء مرتبطون بربط الصفات التي نشأت في عقولهم مما تدربوا عليهِ من العلم والعمل

وليكن معلوماً ان بدون هذه الصفات لا يكون الرجل حقيقيّ التهذيب ولو مهما اتسعت دائرة معارفهِ بل يكون اشبه شيءٍ بمتحف الآثار المصرية يبدي بدائع الصنائع وهو ميت بذاتهِ . ولا شيءٌ يرينا ويري الناس ايضاً اننا اكتشفنا السر في تحصيل التهذيب مثل هذه العادات والصفات التي تنشأ فينا ايام الدرس والتعلّم ونتقوى بمرور السنين واتساع الاختبار

بيروت المدرسة الكلية الاميركية — بولس الخولي

مدرس العربية في القسم الاستعدادي

التحف والذخائر

لماذا يدفع هذا الرجل الف جنيه ثمن حجر من الماس يحلّي بهِ اصبعهُ او اصبع زوجتهِ وهو لو شاء لابتاع بهِ الف اردب من الحنطة كفتهُ وكفت زوجتهُ واولادهُ مئة عام . ولماذا يدفع ذاك الفي جنيه ثمن كتاب قديم وهو يُطبع كل يوم وتباع النسخة منهُ ببضعة غروش . ولماذا يدفع ذلك عشرة آلاف جنيه ثمن صورة باعها مصوّرها بمئة جنيه وهو يحسب انهُ جوزي على تصويرها احسن جزاء . ولماذا يدفع الغواة الف جنيه ثمن طابع البريد واصل ثمنهِ غرش او نصف غرش . لماذا هذه المغالاة بالاشياء النادرة مهما كان نوعها صوراً وتماثيل وحجارة كريمة

ومصوغات ومصنوعات وكتبًا وطوابع بريد . الغرض الاول الامتياز فان الانسان يتوخّى الامتياز على غيره فاذا بلغ كفافهُ من حطام الدنيا وزاد عليهِ كثيرًا حاول انفاق بعض الزائد فيما يميزهُ على غيرهِ كالرتب والنياشين والحلى والجواهر والمصنوعات النادرة ونحو ذلك مما يعجز غيرهُ عن لحاقهِ فيهِ . وقد لحظ هذا بعض التجار من طلاّب الكسب فصاروا يتّجرون بهذه الاشياء ويغالون في اثمانها تحيُّلاً حتى يكسبوا من الراغبين فيها . وارباب الثروة الواسعة لا يبالون بانفاق الالوف على ما يزيدهم امتيازًا على غيرهم

وقد اثرى بعض الناس من التنقيش عن التحف النادرة وبيعها للاغنياء باثمان فاحشة من ذلك صورة منسوبة الى المصور الانكليزي غاينسبرو يقال انها صورة جبورجينا دوقة ديفنشير فقد باعها بيت كرستي الذي يتجر بالصور بعشرة آلاف جنيه سنة ١٨٧٦ فدهش الناس من ذلك حينئذٍ لان هذا الثمن فوق ما كانوا ينتظرون ولم يكونوا قد سمعوا عن صورة بيعت بمثلهِ لكن المستر مورغان الغني الاميركي ابتاع هذه الصورة عينها في الصيف الماضي بثلاثين الف جنيه وابتاع صورة اخرى من تصوير رافائيل بمئة الف جنيه وعرض مئتي الف جنيه على عائلة بورغازي الايطالية ثمن صورة مشهورة من تصوير تشيان فلم تسمح لها حكومة ايطاليا ببيعها ثم اشترتها هي منها بمئة الف جنيه مع القصر الذي هي فيهِ

وهذه الصور كبيرة قد يرى في حجمها ما يشفع ولو قليلاً بغلاء ثمنها ولكن هذه الاثمان الفاحشة تباع بها احيانًا الصور الصغيرة ايضًا فقد اشترى بعض الفرنسويين صورة من لورد ددلي بخمسة وعشرين الف جنيه وهي صغيرة كراحتي اليدين طولها ١٧ سنتمترًا وعرضها كذلك ومزيتها الكبرى انها من تصوير رفائيل المصور المشهور ومن خيرة صورهِ . ومن الصور الصغيرة الثمينة صورة للصور ميريس طولها ٤٣ سنتمترًا وعرضها ٣٥ بيعت باربعة آلاف ومئة جنيه . وصورة اخرى اكبر منها قليلاً بيعت في المزاد العلني ببلاد الانكليز في السنة الماضية باربعة عشر الفًا وخمسين جنيهًا وطولها اربعة اقدام وثلاث عقد وعرضها ثلاث اقدام وخمس عقد فبلغ ثمن العقدة المربعة منها سبعة جنيهات ومن الصورة التي قبلها سبعة عشر جنيهًا واربع شلنات ومن الصورة الاولى التي باعها لورد ددلي اكثر من خمس مئة جنيه

وقد ذكرنا غير مرة ان الحكومة الانكليزية دفعت ثمن صورة واحدة من تصوير رافائيل سبعين الف جنيه حتى يمتاز متحف الصور الانكليزي بها على غيرهِ من المتاحف وحتى يستفيد المصورون من رؤيتها فيهِ

وقد زاد ثمن الصور القديمة في هذه الاثناء زيادة فاحشة فان صورة من تصوير غاينسبرو

بيعت سنة ١٨٦٧ بثمانمئة واربعين جنيهاً بلغ ثمنها ٣٢٢٥ جنيهاً سنة ١٨٩٦ ولو عرضت الآن للبيع لبلغ ثمنها اكثر من ذلك كثيراً وقد يزيد الثمن في سنة واحدة مثال ذلك ان صورة بيعت سنة ١٨٩٥ بالف وتسعمائة وثلاثة وخمسين جنيهاً ثم بيعت في السنة التالية بالفين وثمانمائة وسبعة وثمانين جنيهاً

والمغالاة بطوابع البريد النادرة اغرب من المغالاة بالصور النادرة ولم يكن احد يهتم بجمعها منذ ثلاثين سنة غير اولاد المدارس اما الآن فصارلها جرائد خاصة وتجارة رابحة . باع رجل انكليزي بالامس طابعاً منها ممَّا صُنع في جزيرة موريتيوس بالف جنيه لكن الذي باعهُ انفق على جلبهِ من موريتيوس نحو تسع مئة جنيه . وقد بيع طابعان من طوابع البريد من تلك الجزيرة بالفي جنيه حسبان انهما وحيدان لم يبقَ منهما غيرهما وبيع طابع ثالث بالف وخمسين جنيهاً ولعلَّهُ اكبر ثمن لطابع واحد من طوابع البريد

وقد يبتاع الانسان تحفةً بثمن غير بخس ثم يجد انها تساوي اضعاف اضعافهِ مثال ذلك ان دوق مرلبرو ابتاع تمثالاً صغيراً باربع مئة جنيه ثم دُفع لهُ ستة آلاف جنيه فلم يبعهُ

وممَّا يغالى بهِ ايضاً الاثاث القديم فقد اشترى بعضهم في العام الماضي خزانتين من طراز لويس الخامس عشر بخمسة عشر الف جنيه . وعند دوق ارجيل خزانة مزدوجة من هذا الطراز تساوي اكثر من تسعة آلاف جنيه . وبيع بالامس اربعة آنية خزفية بخمسة آلاف واربع مئة جنيه وشمعدانان صغيران بالف ومئتين وثلاثة وستين جنيهاً ولوح صغير عليهِ صورة البشارة وصورة لويس الثاني عشر والملكة حنَّة على جانبيها بالفي جنيه وهو مصنوع بين سنة ١٤٩٩ و١٥١٣ . وبيعت علاقة (مداليون) صغيرة عليها صورة تشارل غيز كريدنال لورين مصنوعة بالمينا على النحاس سنة ١٥٧٤ بالفي جنيه وهي الآن في متحف سوث كنسنتون . وفي هذا المتحف صحفة ثمنها ١١٤٦ جنيهاً وابريق ثمنهُ ٩٩٢ جنيهاً وصندوق صغير ثمنهُ ١٠٠٠ جنيه . ومنذ بضعة اشهر اشترى بعضهم حجَّة قديمة بثمانية شلنات وظهر لدى البحث ان فيها امضاء غاي فوكس الذي قُتل شنقاً سنة ١٥٠٢ ولا يوجد الاَّ ورقة اخرى ممضاة بامضائهِ وقد قدِّر ثمن هذه الحجَّة الآن بعشرة آلاف جنيه من حيث هي ورقة ممضاة باسم رجل مشهور ولا يوجد الاَّ ورقة اخرى ممضاة باسمهِ

على هذا الاسلوب يحاول ارباب الثروة الامتياز على غيرهم بابتياع التحف النادرة المثال وتجاريهم دور التحف ومعارض العلم ولو رمت الى غرض آخر اسمى وابقى من الامتياز